فتح بصائر الإخوان

في شرح دوائر

الإسلام والإيمان والإحسان والعرفان

تأليف:

السيد الشريف الإمام الهمام العالم العلامة وجيه الدين

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

الحسيني العلوي الحضرمي التريمي

اعاد الله على المسلمين من بركاته آمين

مكتبة ومطبعة المصباح

باغلان - طوبان

هـ ف: ٠٨١٣٣٢١٦٦٠٠٣٣

MAKTABAH KITAB NUSANTARA

DILARANG MEMPERJUALBELIKAN PDF INI

فتح بصائر الإخوان

في شرح دوائر
الإسلام والإيمان والإحسان والعرفان

تأليف:

السيد الشريف الإمام الهمام العالم العلامة وجيه الدين

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

الحسيني العلوي الحضرمي التريمي

أعاد الله على المسلمين من بركاته آمين

مكتبة ومطبعة المصباح

باغلان - طوبان

هـ ف: ٠٨١٢٣١٦٦٠٠٣٣

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن كتاب فتح بصائر الإخوان أو فتح بصائر المسترشدين للإمام علامة الدنيا عبد الرحمن بن عبد الله بَلْفَقيه كتاب نفيس في فنه عزيز في موضوعه قد احتوى على دُرَر من عُلوم القوم وأحوالهم التي بها تَحسُن لنا الصِّلات بمولانا جلَّ في علاه ، وتصفو ببركتها لنا الأحوال وتزكو برَقيقِ سَلْسَالها لأهل التعطُّش للعمل بدقيق أنوار فهومها الأعمال، وهو على صِغر حجمه إلا أنه كما قال عنه أحد

الأكابر : (لَمْ يُؤَلَّف مثله)، وكلامُ الرجال رجال الكلام، فرضي الله تعالى عن هؤلاء الأقوام والأئمة الأعلام.

وقد وفق الله مَرْكَز النور لخدمة هذا السفْر الجليل، وإبرازه في هذه الحلة القشيبة بعد مقابلته التي طبعها الحبيب محمد بن حسين الحبشي والتي رُمِز لها بـ (ط)، ونسخة مخطوطة من مكتبة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي سنة ١٢٦٣هـ ورُمِز لها بـ (ب) واعتُمد عليها غالبًا، ونسختين خطيتين في مكتبة الأحقاف رُمِز لهما (أ) و (ج) مع كتابة ترجمة مختصرة للمؤلف رحمه الله ونفعنا به.

والمأمول من الله تعالى أن ينفع به كل من وقف عليه بقصد العمل والاستفادة، فهنيئًا لعُشّاق الفضائل بروز هذه العَروس الخَرود، والله نسأل لنا ولهم التوفيق والفوز والفلاح إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ترجمة المؤلف

نسبه :

هو الإمام العلامة والحَبْر الفهّامة عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الشهيد بن الفقيه المقدَّم محمد بن علي بن محمد صاحب مِرْباط ابن علي خالع قسم بن علوي بن محمد مولى الصومَعة بن علوي بن عبيد الله بن المهاجر إلى الله أحْمَد بن عيسى النقيب بن محمد بن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن سيدة نساء العالمين فاطمة البَتول الزهراء بنت سيد المرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين أفضل الصلاة والتسليم.

مولده :

وُلِدَ هذا الإمام الذي لا نظير له في الأقران بمدينة تريم الغنيّة شهرتها عن التعريف وذلك في عام ١٠٨٩ اهـ تسعة وثمانين وألف للهجرة النبوية.

نشأته :

نشأ هذا الإمام الفخيم نشأةً عِلْمية صوفية حيث نشأ في كَنَف والديه الكريمَين واللذين أسقوه ألبان العلوم والمعرفة منذ نعومة أظفاره. حيث أن والده الكريم العالم العلامة عبد الله بن أحمد بن عبد الله بلفقيه أَحد رِجالات عصره وأحد أفراد دهره والذي يُشار إليه بالبَنان ويرجع إليه الخاص والعام فى سائر العلوم فقهًا وحديثا وتفسيرًا وإلى كثير من العلوم. فنشأ هذا الإمام المُترْجَم له في هذه البيئة العِلْمية الخيرية مما أهلته للرقي والسموّ إلى أوج يفاع المعرفة والعلوم الظاهرة والباطنة فى سنه المبْكر حيث إن والده استخلفه للتدريس والفتوى وهو في الحادية والعشرين من عمره إذ كان أهلاً لذلك المقام والذي لايرتقيه إلا النادرمن عباقرة الرجال وقليل مّا هم.

طلبه للعلم :

أشرْنا فيما سبق ملازمته التامة لوالده وأخْذه عنه حتى تُوفي سنة ١١١٠هـ، ثم لازَم جده لأمه الإمام محمد بن عبد الرحمن العيدروس حتى تُوفي عام ١١١٢هـ، ثم لازَم خاله السيد عبد الرحمن بن محمد العيدروس حتى توفي عام ١١١٣ هـ، ثم لازَم الإمام أحمد

بن عمر الهندُوان حتى توُفي سَنة ١١٢٠ هـ، ثم لازَم الإمام الحداد حتى توُفي عام ١١٣٢ هـ.

فأحببْنا أن نقتصر على ذكر هؤلاء من مشايخه وإلا فإن شيوخه والذين أخذ عنهم كثيرون جدًا لا تسعهم هذه العُجالة الوجيزة فمن أراد الاستزادة فعليه بالمطوّلات في ذلك مثل كتابه رفع الأستار فإنه أشار إلى جميع مَن أخَذ عنهم تفصيلا.

وأما الآخِذون عنه : فهم لا يُحصَون بالعد والتعداد ولكن علينا أن نقتصر على مَن اشتهر منهم فمنهم :

١ ــــ العالم العلامة سَقاف بن محمد بن عمر بن طه السقاف.

٢ ــــ العلامة الحبيب حسن الصادق بن علي الجُفري.

٣ ــــ الحبيب العلاّمة شيخ بن عبد الرحمن باعَبود.

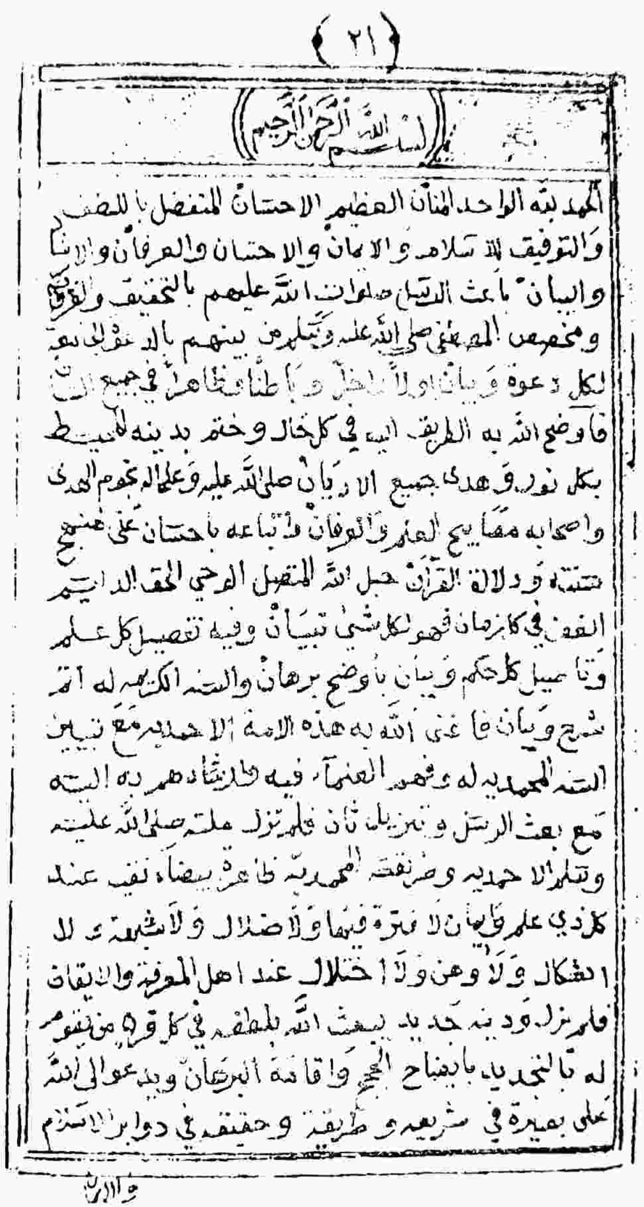
٤ ــــ الحبيب العلامة عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نزيل مصرَ ودفينها.

٥ ــــ العلامة الحبيب حامد بن عمر حامد باعلوي.

٦ ــــ الخليفة الصالح ابن المؤلف العلامة عيدروس بن عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه.


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الواحد المنان العظيم الاحسان
المتفضل باللطف والتوفيق للاسلام والايمان
والاحسان والعرفان والارشاد والبيان باعث
الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والعرفان
ومخصص المصطفى صلى الله عليه وسلم من بينهم
بالدعوة الجامعة لكل دعوة وبيان اولا واخرا
وباطنا وظاهرا في جميع الشان فاوضح الله
به الطريق اليه في كل حال وختم به دينه المحيط بكل
نور وهدى جميع الاديان صلى الله عليه وعلى آله
نجوم الهدى واصحابه مصابيح العلم والعرفان
واتباعه باحسان على منهج سنته ودلالة القرآن
حبل الله المتصل الوحي الحق الدائم الغض في كل زمان
فهو لكل شيء تبيان وفيه تفصيل كل علم واصل
كل حكم وبيان باوضح برهان والسنة الكريمة

الصفحة الأولى من النسخة (أ)


(٢١)
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الواحد المنان العظيم الاحسان المتفضل باللطف
والتوفيق للاسلام والايمان والاحسان والعرفان والارشاد
والبيان باعث الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والعرفان
ومخصص المصطفى صلى الله عليه وسلم من بينهم بالدعوة الجامعة
لكل دعوة وبيان اولا واخرا وباطنا وظاهرا في جميع الشان
فاوضح الله به الطريق اليه في كل حال وختم به دينه المحيط
بكل نور وهدى جميع الاديان صلى الله عليه وعلى آله نجوم الهدى
واصحابه مصابيح العلم والعرفان واتباعه باحسان على منهج
سنته ودلالة القرآن حبل الله المتصل الوحي الحق الدائم
الغض في كل زمان فهو لكل شيء تبيان وفيه تفصيل كل علم
واصل كل حكم وبيان باوضح برهان والسنة الكريمة له اتم
شرح وبيان فاغنى الله به هذه الامة الاحمدية مع تبيين
السنة المحمدية له وفهم العلماء فيه وارشادهم به الى السنة
مع بعث الرسل وتنزيل ثان فلم يزل ملته صلى الله عليه
وسلم الاحمدية وطريقته المحمدية ظاهرة بيضاء نقية عند
كل ذي علم وايمان لا فترة فيها ولا اضلال ولا اشتباه ولا
اشكال ولا وهن ولا اختلال عند اهل المعرفة والايقان
فلم يزل ولن يزال يبعث الله بلطفه في كل قرن من يقوم
له بالتجديد بايضاح الحجج واقامة البرهان ويدعو الى الله
على بصيرة في شريعة وطريقة وحقيقة في دوائر الاسلام
والايمان

الصفحة الأولى من النسخة (جـ)


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الواحد المنان العظيم الاحسان المتفضل باللطف والتوفيق
للاسلام والايمان والاحسان والعرفان والارشاد والبيان باعث
الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والعرفان ومخصص المصطفى
صلى الله عليه وسلم من بينهم بالدعوة الجامعة لكل دعوة وبيان
اولا واخرا وباطنا وظاهرا في جميع الشان فاوضح الله تعالى به
الطريق اليه في كل حال وختم به دينه المحيط بكل نور وهدى جميع
الاديان صلى الله عليه وعلى آله نجوم الهدى واصحابه مصابيح
العلم والعرفان واتباعه باحسان على منهج سنته ودلالة القرآن
فالقرآن حبل الله المتصل الوحي الحق الدائم الغض في كل زمان
فهو لكل شيء تبيان وفيه تفصيل كل علم واصل كل حكم وبيان باوضح برهان
والسنة الكريمة له اتم شرح وبيان فاغنى الله به هذه الامة الاحمدية
مع تبيين السنة المحمدية له وفهم العلماء فيه وارشادهم به الى السنة مع
بعث الرسل وعن تنزيل ثان فلم يزل ملته صلى الله عليه وسلم الاحمدية
وطريقته المحمدية ظاهرة بيضاء نقية عند كل ذي علم وايمان لا
فترة فيها ولا اضلال ولا اشتباه ولا اشكال ولا وهن ولا اختلال
عند اهل المعرفة والايقان فلم يزل ولن يزال يبعث الله بلطفه
في كل قرن من يقوم له بالتجديد بايضاح الحجج واقامة البرهان ويدعو
الى الله على بصيرة في شريعة وطريقة وحقيقة في دوائر الاسلام والايمان
والعلم والبيان والاحسان والعرفان وبعد فان بعض الاخوان
من اهل الله الموالين في الله على حق الايمان في طريق الاحسان
الح علي وعول ان اذكر له وصية جامعة السبيل ليكون

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الواحد المنان، العظيم الإحسان، المتفضل باللطف والتوفيق للإسلام والإيمان والإحسان، والعرفان والإرشاد والبيان، باعث الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والفرقان، ومخصِّص المصطفى صلى الله عليه وسلم مِن بينهم بالدعوة الجامعة لكل دعوة وبيان، أولاً وآخرًا وباطنًا وظاهرً [(١)] في جميع الشان، فأوضح الله تعالى به الطريق إليه في كل حال، وختم بدينه المحيط بكل نور وهدى جميع الأديان، صلى الله عليه وعلى آله نجوم الهدى وأصحابه مصابيح العلم والعرفان، وأتباعه بإحسان على منهج سنته ودلالة القرآن.

فالقرآن[(٢)] حبل الله المتصل بالوحي[(٣)] الحق الدائم الغَضّ في كل زمان، فهو لكل شيء تبيـــان، وفيه تفصيل كل علم وتأصيل كل

(١) في (ط) : وظاهرًا وباطنًا.

(٢) سقطت من (أ) و (ج) : فالقرآن. (٣) في (ب) : الوحي.

حكم [وبيان[١]] بأوضح برهان، والسنة الكريمة له أتم شرح وبيان، فأغنى الله به هذه [٢] الأمة الأحمدية مع تبيين السنة المحمدية له وفهم العلماء فيه وإرشادهم به إليه عن [٣] بعث الرسل وتنــزيل ثان، فلم تزل ملته صلى الله عليه وسلم الأحمدية، وطريقته المحمدية، ظاهرة بيضاء نقية، عند كل ذي علم وإيمان، لا فترةَ فيها ولا ضَلالَ، ولا شبهة ولا إشكال، ولا وهَن ولا اختلال، عند أهل المعرفة والإيقان، فلم يزَل دينه جديد، يبعث الله بلطفه في كل قرن من يقوم له بالتجديد، بإيضاح الحجج وإقامة البرهان، ويدعوإلى الله على بصيرة في شريعة وحقيقة في دوائر الإسلام والإيمان، والعلم والبيان، والإحسان والعِرْفان.

وبعدُ: فإن بعضَ الإخوان من أهل الله المُوالين في الله على حق الإيمان في طريق الإحسان، ألحَّ وعوَّل [على][٤] أن أذكر له وصِيَّة جامعة التبيين، لتكون له تبصِّرة وتذكرة نافعة في الدين، وطلب أن

(١) سقطت من (ب) و (ط) : وبيان.

(٢) في (ط) : بهذه . (٣) في (أ) و (ج) مع.

(٤) سقطت من (ط) و (ب) : على.

تكون شاملة في أوله وآخره كاملةً (١) في باطنه وظاهره، على وجه الجمع بين كلام العلماء المتقين الأولياء العارفين، ورغّب إليّ فيما علِمتُه من ذلك، وخبرتُه وسبرتُه (٢) وجربتُه من عِلم ويقين.

فأقول وبالله الهداية (٣) والتوفيق:

اعلم أن هذا الأمر والهداية (٤) له بداية ونهاية، وأول وآخر، وباطن وظاهر، وأصول وفروع، وفصول وجموع(٥)، ولا تُدرَك غايته إلا بتقويم هدايته، ولا تنال نهايته(٦) إلا بتصحيح بدايته، ولا كمالَ لأوله إلا بآخره، ولا وصولَ إلى باطنه إلا من ظاهره، ولا طريقَ إلى فروعه إلا من أصوله، ولا تحقيقَ لمجموعه إلا بمعرفة فصوله. وكله دين واحد وطريق مستقيم له منازل ومناهل، ودرجات ومراتب

(١) سقط في (أ) و (ج) : في أوله وآخره كامله.

(٢) سبرته : سبرًا حزرته وخبرته يقال سبر الجرح: قاس غوره بالمسبار وسبر فلانًا خبره ليعرف ما عنده. المعجم الوسيط صـــــ ٤١٣ .

(٣) سقط في (أ) و (ط) : الهداية.

(٤) سقط في (أ) و (ط) : الهداية.

(٥) في (أ) و(ج) و(ط) : جموع.

(٦) في (ط) : هدايته.

وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ [الأنعام : ١٣٢] (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ) [المجادلة : ١١].

وقد ورد بذلك الكتاب والسنة على وضع متحد، فالأخذ بفرعه وفصله[1] يستلزم الأخذ بباقيه وأصله، والتكذيب ببعضه تكذيب بكله، وأهل كل مرتبة يأخذون من كل آية وطاعة ــــ مثلاً ــــ منازلهم، ويشربون فيه مناهلهم، وكل منهم على قدر طاقته وقابلية قلبه، وإيمانه وطاعته وقربه، فإن لكل آية وحديث وطاعة وذكر وعبادة[2] له ظاهر وباطن وحد ومطلع إلى ما لانهاية له، فكل طالب يأخذ من كل مطلوب منه نصيبه على حسب قسمه، ومبلغ فهمه وعلمه.

ففي كلمة الإخلاص مثلاً التي هي أصل الأصول يقول أهل الإيمان : لاإله إلا الله ؛ ومعناهم لا معبود إلا الله، ثم في طريق الإحسان معناهم لا مقصود إلا الله، ثم في تحقيق العرفان معناهم[3] لاموجود إلا الله، وفي البسملة مثلاً التي هي المبتدأ في كل حال[4] يقولون بسم الله ومعناهم التعلق ثم في المرتبة الثانية التخلق

(١) في (ط): وأصله. (٢) في (أ) و(ج) و(ط) : وعبادة وذكر. (٣) سقط في (أ) و(ج) : معناهم. (٤) في (أ) و(ج) و(ط) : حال.

ثم في المرتبة الثالثة التحقق، فقد أخذ أهل كل[1] مرتبة من هذين الكلمتين والذكرين الشريفين نصيبهم، وشربوا مشربهم[2]، على اختلاف وتفاوت لا نهاية له في كل مرتبة، كما في المرتبة الأولى في العبادة والتعلق في خصوص وعموم في ملاحظة النوع والسبب في كل مقسوم على حد معلوم، وقس على ذلك ما سواه.

واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما تفضل ببعثة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعطاه جوامع الكلم، وسهل له الدين ويسه به[3]، ورفع عن أمته ببركته الإصر وكل عسر، اختصر له الدين كله في كلمتي الشهادتين[4] مبدأ[5] دائرة الإسلام والإيمان، ثم بسطه في كل دائرة أوسع منها بسطاً لا نهاية له على حسب درجات المتقين؛ ومقامات الدين؛ إلى غايات الأنبياء والمرسلين، فالدخول في الإسلام بالنطق بالشهادتين كالنقطة التي تدور عليها دائرة الإسلام والإيمان، ثم العلم والبيان ثم الإحسان ثم[6] العرفان إلى ما لا نهاية له في هذا

(١) في (ب) : كل أهل. (٢) في (أ) و(ج) و(ط) : شربهم. (٣) سقطت من (أ) و(ج) : ويسره. (٤) في (ط) : الشهادة. (٥) في (أ) و(ج) و(ط) : مبتدأ.

(٦) في (ط) :و.

الشان، فلنوضح ذلك (١) في أربع دوائر الله المستعان.

الدائرة الأولى دائرة الإسلام والإيمان (٢) والأخذ في الأصول (٣) والفروع بالمجموع والمحمول بالاعتقاد والانقياد والإذعان.

الدائرة الثانية دائرة التأصيل في الأصول؛ والتفصيل في الفروع والفصول؛ والاتساع في العلم والبيان.

الدائرة الثالثة دائرة الوصول من الظاهر إلى الباطن؛ والحصول من العلم والبرهان إلى الذوق والوجدان؛ وهي طريق الإحسان.

الدائرة الرابعة وهي آخِرة بالنسبة لما قبلها، أوَلى بالنسبة لما بعدها، وهي: مطالعة الحقيقة ومعرفة كل حد ومطّلع في كل بطون وظهور في مناهج العرفان.

---

(١) سقط من (أ)، و(ج) و(ط) : كذلك.

(٢) في (ب) و(ط) : الإسلام والإيمان.

(٣) في (أ) و(ج) : الأصول.

الدائرة الأولى

اعلم أنه يحصل (١) الدخول في الإسلام والإيمان ويتيسر أولاً بالنطق بالشهادتين ومعرفة معناهما والتزام أحكامهما والإذعان لمقتضاه ظاهرًا وباطنًا، فبذلك وحده يحصل الإسلام في الحال والإيمان على كمال (٢) فمن مات على ذلك فقد مات على الفطرة ودين كامل.

ووجه ذلك أن الشهادتين تشتملان على جميع أمور الدين بالإجمال، فأما الاعتقاديات (٣) فواضحة من المقال، وأما غيرها فإنه يلزم من الإذعان لذلك التزام مقتضاه في جميع الأحكام والأعمال، والعزم على الدوام على [جميع] (٤) ذلك في جميع الأزمان والأحوال، فقام (٥) الإجمال لذلك مقام التفاصيل (٦) إذ لا غاية لها بحال، وناب الالتزام بذلك عن العمل إذ لا نهاية للأعمال.

---

(١) في (ب) : قد يحصل. (٢) في(ج) : كل كمال. (٣) في(ج) : الاعتقادات.

(٤) زيادة من (ط). (٥) في (ط): فمقام. (٦) في (أ) و(ج) : التفصيل.

وبذلك يُعلَم أن الأعمال إنما شُرعت ممدّة للدين، ومُنْمية لمعنى الشهادتين و(١) مقوية لليقين، وأن (٢) الذكر إنما شُرِع للتذكير، وتطهير الضمير من الغفلة بالغير، فأثره يعود على الذاكر لا على المذكور، وثمره (٣) للعبد في جميع الأمور، وأن النطقَ بالشهادتين وما ذُكر معه كالنواة للنخلة، منها نباتها وتفرّع عروقها وتشعب فروعها، بحسب زكاة أرضها وعذوبة ماءها، فغَرْسُ شجرة الدين ببذر الشهادتينَ في القلب الصالح، وسقيها بماء العمل الصالح، الواصل إلى القلب بالحضور بالعلم المعُين؛ على يد الملائكة المقرّبين؛ وإمدادُ الأولياء ومجالسة الصالحين، تفتح لعين العين (٤) بمعنى الدين، وتمنح كل نور وعمل من أعمال المتقين، فيَحْيا القلب بذلك حياة طيبة في بَهْجة وسرور، ولا يموت بموت الجسد. بل يبقى أبدًا في نعيم وحبور.

وأما غرسها في القلب الفاسد الخبيث وسقيها بماء أجاج المعاصي والخبائث فإنها لا تبقى معه بحال، وتنبت فيه مكانها في الحال شجرة الخبال والضلال المبين على يد الشيطان اللعين، فيموت الدين والقلب

---

(١) في (ط): أو. (٢) في (ج) : فإن. (٣) في (ط) : وثمرته.

(٤) في (أ) و(ج) و (ط) : اليقين.

قبل موت الجسد، ويبقى في ظلمات البعد والطرد والنَكد أبد الآبدين والأمر لله رب العالمين.

فنقطة دائرة الإسلام هي النطق بالشهادتَين كما ذُكِر، فلا تزال تلك الدائرة تتسع بحسب التفصيل في ذلك الإجمال، وتَعاطِي المُلتزَم من الأحكام ومباشرة الأعمال، ووضوح المعتقد بصحيح الفكر [1] واتضاح الاستدلال، فيزيد الإسلام والإيمان بذلك بحسب المعنى الراجع في كل ذلك إلى الشهادتَين، وما اشتملتا [2] عليه من أمور الدين، والاستسلام لله والانقياد له والرجوع إليه علمًا وعملا في كل حال وحين.

فكل مَن لم يجد لعمله الصالح زيادة فى دينه؛ وقوة في يقينه، فليعلم أن ذلك إنما هو لنقص عمله وقلة اجتهاده، لعدم إخلاصه وصِدق نيته،أولعلة من العلل [3] في قلبه،فسد بها القلب وأفسد العمل، وتلك العلل كرضاه عن نفسه،ونظره إلى عمله وإعجابه به، وكرؤية الخلق والتعلق بهم والملاحظة لهم، الموجبة للرياء والكبر والحسد والغش والحقد، وكتسلط النفس الأمارة بالسوء واستيلائها على

---

(١) في (ط) : النظر. (٢) في (ط) : اشملت. (٣) سقطت في (ب) : من العلل

القلب، بغلبة الشهوة المثمرة للقسوة وعدم الخوف والانهماك في المعاصي، وكخبث الطوية وتمكن الشيطان ووسوسته وغروره.

فليجتهد العبد الموفق بتطهير قلبه من هذه الكبآئر الموبقات، وطب لبه من هذه الخبآئث والأمراض المهلكات، ويشمّر في علاجه وصلاحه، وتزكيته ورشده (١) وفلاحه، فإن القلب إذا صلح صلح الجسد والأمر كله، وإذا فسد فسد العمر كله، فهو أولى بالعناية من أمراض الجسد وبقية الأعضاء، فالعَجَبُ كل العَجَب ممن إذا اعتلت يده أو رجله بذل جهده في علاجها بكل وجه، وإذا اعتل قلبه ومرض لبه لا يتفكر في علاجه، ولا ينظر في طبه، ويهمل أمره حتى يموت قلبه فلا يحيا أبدًا، ويطبع عليه ويذهب دينه فلا يُفلح سرمدا (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) [المطففين : ١٤ـــ ١٥] (نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [الحشر : ١٩] (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) المائدة : ١٣] (طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء : ١٥٥].

وكيف (٢) يغفل العاقل عن عقله وقلبه، الذي ما امتاز على الحيوان إلا به، وعن دينه الذي ما فضل على الكفار إلا بسببه،

(١) في (أ) و (ج) و (ط) : ورشده. (٢) في (أ) و (ج) و (ط) : فكيف.

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [القمان: ٣٣] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴾ [ال عمران : ١٨٥]، فكيف يرضى من ميزه الله بالعقل ودعاه إلى الرشد والفلاح، أن يغفل عن عاقبة أمره وحال قلبه في الفساد والصلاح[1]، ويصرف ذرات عمره التي لا قيمة لها في شهوات البهائم والأكل والشرب والنكاح، فيقنع بحالة البهائم في الغدو والرواح، بل هو أضل من الأنعام لما عليه من الوزر والجناح.

فلينظر الإنسان فيما هو به إنسان، وما به يرتفع عن[2] حضيض النقصان ، إلى أوج العلا والإحسان، وما ذاك إلا العقل والدين، وامتلاء القلب بالنور واليقين ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر : ٩] ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾[السجدة: ١٨] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ

(٣) في (ط) : الصلاح والفساد. (١) في (أ) و (ج) و (ط) : من.

نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [الأنعام : ١٢٢].

فكم من إنسان ليس بإنسان ، وما له [١] من الإنسانية إلا الصورة وهو في الحقيقة دابة أو سبع أو كلب أو شيطان، على ما فيه من صفات هذه المذكورة [٢] ، فغلب عليه وتلا من سوره، فلا تغرك منه صورته الظاهرة، فالعبرة بحقيقته وإنما تظهر الحقيقة في الآخرة.

فمن أراد الله سعادته وصلاحه طهر قلبه وجسده من المعاصي والخبائث المهلكات [٣] ، ووفقه لدوام ذكره وملازمة [٤] الطاعات ، وأشهده [٥] أن له المنة عليه في جميع الأمور والأحوال والأوقات، بنعمة الإيجاد والإبقاء والإمداد والسلامة من الآفات ، فهو الذي أعطاه ما أعطاه وهداه إليه وألهمه الطاعات (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ)[الأعراف: ٤٣](يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ)[الحجرات: ١٧](وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ

---

(١) في (أ) و (ج) و (ط) : وليس له. (٢) في (أ) و (ج) و (ط) : المذكورة. (٣) في (أ) و (ج):والمهلكات.(٤) في(ط) : وبملازمة، وفي (أ) و(ج): ودوام. (٥) في (ج): وأشهد.

وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوْقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُوْنَ (٧) فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً) [الحجرات : ٧ – ٨] .

فعنوان القلوب الصالحة الفرح بالرشد والإيمان، وكراهة الكفر والفسوق والعصيان، ومحبة الخير وأهل الخير والانتفاع بالذكر والتذكير وقراءة القرآن (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِيْنَ) [الذاريات : ٥٥] (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى) [الأعلى : ١٠] (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ) [الأنفال : ٢] (فَأَمَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَ) [التوبة : ١٢٤] (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتَبًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُوْدُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) [الزمر : ٢٣] الآيات.

فكل من لم ينتفع بالذكر والقرآن؛ ولم يخشع للتذكير والبيان، فذلك لضعف الإيمان، واعتلال الجنان، حيث ران عليه ماران، فليتدارك مابقي من عمره، ومافرط فيه من أمره، وليجتهد في صدقه مع الله وإخلاصه، وتطهير قلبه من الخبائث وخلاصه، وملازمة ذكر الله والاستهتار(١) به على الدوام، واغتنام الأعمال الصالحة والمراقبة لله

(١) الاستهتار: هو الولوع بالشيء والإفطار حتى كأنه قد اهترى أي قد خرف. لسان العرب ٥ / ٢٤٩.

والحضور في كل حال ومقام، ليمتلئ قلبه من اليقين ويصعدَ بسُلّم الاستسلام لله في الإسلام والاطمئنان به على مناهج (٢) الإيمان ؛ إلى مدارج الإحسان، ومعارج العرفان، فيرى الحق حقا كالعيان (لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَٰمِلُونَ) [الصافات : ٦١].

فالعَمَل الصالح هَدية من الله لعبده، وفضل من الله أعطاه إياه وأثابَه عليه (٣) وجعله لمن قرّبه سِمةً وأظهرَ عنوان، وجعله مفتاحًا لقبوله وبابًا لرضوانه والنعيم في الجنان (٤)، فالمُعرِض عن العمل الصالح لا يُفتَحُ له كالمُعرِض عن الباب، والعامل يقرع باب الجود تحت عطايا المنعم الوهاب، فالمستغرق بعبادة (٥) ربه المستهتر (٦) بذكره، عاجز عن أداء شكره، لأن ذلك عليه نعمة جديدة أخرى، أعظم من كل نعمة كبرى، إذ وفّقه لطاعته، وجعله من أهل حضرته، وذلك أعظم منة وعطية، وأرفع درجة علية، لا يقدّر قدرها، ولا يقْدر على شكرها، ولو اجتهد وبذل جهده ليشكر، فما قصد به الشكر نعمة أخرى، وهَلُمَّ جرا.

(٢) في (أ) و(ج) و (ط): منهاج. (٣) سقطت من (ب): عليه. (٤) في (ط) : الجنات.

(٥) في (ب): في عبادة. (٦) الرجل المستهتر : هو الذى لا يبالي ما قيل فيه. لسان العرب ٥ /

فسبحان من لا يمكن شكر نعمته، إلا بنعمته ولا يُقْدَر على طاعته إلا بتوفيقه، فلا حيلة في شكره إلا بالعجز والاعتراف والافتقار، ولا قوة على طاعته إلا بالذل والخضوع والاضطرار.

وأما الأعمال فالمنة لله فيها ظاهرة، ودوام التقصير في شكرها حالة دائمة حاضرة، فالشاكر الذاكر الصائم القائم ـــــ مثلاً ـــــ خوفه من الله أعظم من غيره، لِعِظَم منةِ الله عليه وقلة شكره وكثرة تقصيره.

فإذا عرفتَ ذلك علمتَ أن العالم[(١)] الكامل قد يخاف من وجود عمله، خوفًا من نظره إليه وتعويله عليه، لشهود منة الله عليه به، وقلة شكره بسببه[(٢)] فكيف يعتمد عليه، فما العمل مقصود له إلا من حيث شهود المنة، واتباع الطريق وامتثال[(٣)] أمر الله بفعله، وأنه جَعَله سبحانه باب قربه، ومفتاح حبه، وبالله التوفيق.

---

(١) في (أ) و(ج) و(ط) : العامل.

(٢) سقطت في (ط): بسببه.

(٣) في (ب) : امتثالاً.

الدائرة الثانية

في (١) التأصيل في الأصول [والتفريع](٢)

والتفصيل في الفروع والفصول والاتساع في العلم والبيان

اعلم أن هذا الدين أوله وآخره وباطنه وظاهره (٣) لابد فيه من علم وعمل، فالعلم وإن كان منه ما هو وسيلة فهو أصله ودليله، وهو للمؤمن وزيره وخليله، وهو إلى كل خير في الدنيا والآخرة منهجه وسبيله، بل هو لمن قصد به وجه الله وصدق فيه مع الله أفضل عبادة، (فما عبد الله بشيء أفضل من الفقه في الدين) (٤) (ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) (٥) (وفضل العالم على العابد كفضل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره) (٦) ومن نال العلم

---

(١) سقطت من (ب): في. (٢) زيادة من (ط). (٣) في (أ) و(ب) و(ج): وظاهره وباطنه.

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٦٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه الحديث رقم ٤٨٧ . وقال رواه الطبراني في الأوسط. والحديث أيضًا عن أحمد في المسند.

(٥) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٤٧٧/٣ الحديث رقم ٢٦٨١ . والحديث عند ابن ماجة في المقدمة باب ١٧ .

(٦) رواه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم ٢٦٨٥ ، ٥٠/٥ وقال هذا حديث حسن غريب صحيح. ورواه الدارمي عن مكحول مرسلاً انظر تحفة الأحوذي ٣٨٠/٧ .

واتّقى اللّٰه به (١) فقد نالَ أشرف منازل الفضل والسعادة ((ومن يرد اللّٰه به خيرًا يفقهه في الدين)) (٢) ((وخيار (٣) الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)) (٤).

فحتّمٌ على كل مؤمن أن يجتهد في العلْم الذي به معرفة دينه وقوة يقينه، وتأصيل أصوله وتفصيل فروعه وفصوله، فيكون دليله إلى ربه ومعرفته ورضاه وقربه، فيأخذ من كل علم من علوم الدين مما هو فرض ومسنون بطرف صالح على أستاذ ناصح، بحسب اتساع الوقت واغتنام الفرص وساعاتها، كالعقائد والفقه والتصوف وعلوم القرآن والسنة وآلاتها، فيَقصد بها وجه اللّٰه والتقريب به (٥) إليه.

فإن العلم (٦) أعظمُ أبواب الدين وأسباب القُرَب من رب

(١) في (ب) : واتقى به.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٠/١ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه في كتاب العلم باب فضل العلم الحديث رقم (٤٨٦) وقال رواه الطبراني في الصغير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) في (أ) و (ج) و (ط) : وخيار.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى : (وَاتَّخَذَ اللّٰهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً) فتح الباري ٤١٩/٦ الحديث رقم ٣٣٥٣ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه.

(٥) في (ط) : بها. (٦) في (أ) و (ج) و (ط) : فالعلم.

العالمين، فبه يَعرف العَبد نفسه في عجزه ونقصه وذُلّه وفقره، ويعرف ربه(١) وكبرياءه وغناه عنه وفضله عليه في جميع أمره(٢).

فالعلم الذي لا يُثمر هذه الثمرة، ولا تنمو به هذه المعرفة في هذه الشجرة، ليس من علوم الدين بحال، وإنما هو قيل وقال، وهو إذا لم يُفد الهُدى والنور واليقين، فإنما هو بلاء وبور وصفات المنافقين، فكل علم لم يُقرّب إلى الله فليس من الله في شيء، وكل علم يقطع عن الله أو يصدّ عن ذكر الله فهو باسم الجهل أولى، وما يكون منه سبباً للغفلة عن الله الموجبة للقسوة والاشتغال في قيلٍ وقال والمراء والجدال؛ فهو مذموم على كل حال، فكم هلك به من قوم، وما نالوا به إلا

---

(١) في هامش (أ) : كان حقه أن يقول في قدرته وكماله إلى آخره اهـ محمد الكاف.

(٢) إشارة إلى الأثر (من عرف نفسه فقد عرف ربه) الذي ذكره الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة ونقل عن أبي المظفّر السمعاني أنه قال في اللكلام على التحسين والتقبيح العقلي من القواطع: لا يعرف مرفوعًا، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله وكذا قال النووي: أنه ليس بثابت اهـ. وذكر القاري في الموضوعات نحو هذا، وزاد عقب قوله وقال النووي: أنه ليس بثابت يعني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فمعناه ثابت، فقد قيل: من عرف نفسه بالجهل فقد عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالفناء فقد عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالعجز والضعف فقد عرف ربه بالقدرة والقوة، وهو مستفاد من قوله تعالى (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ)[البقرة : ١٣٠] المقاصد الحسنة ٤٩٠ حديث رقم =

الإثم واللوم، نعوذ بالله من الحور [١] بعد الكور [٢]، والخروج إلى الظلمة من النور، ومن ازداد علمًا ولم يزدد تواضعًا واقتقار إلى الله وخشية له فما ازداد إلا جهلاً، والعلم إذا لم يعد بنفعه على صاحبه فالجهل منه [٣] أعوَد وأولى.

ومثله في ذلك العمل، فما هما إلا وسيلتان إلى العبودية والخشوع [٤] والخضوع [٥] لله تعالى على كل حال، نعوذ بالله من علم لا ينفع وعمل لا يقبل.

فينبغي لطالب العلم أن يعتني بعين قلبه، وما يزيد في دينه وقوة يقينه وقربه من ربه، ويراعي حاله في عمله على قدر مقامه وفهمه.

=١١٤٩ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري ١٨٩ فتاوى الإمام النووي ٢٧٩-٢٨٠ تحقيق محمد الحجار.

(١) في (ب) : الجور.

(٢) نعوذ بالله من الحور بعد الكور: أي من الرجوع بعد الاستقامة ومن النقصان بعد الزيادة ومن فساد أمورنا بعد صلاحها والرجوع عن الجماعة بعد أن كنا معهم. لسان العرب ٥/٤،١٥٤/٢١٧ . والنهاية في غريب الأثر ١/١٠٧٩ .

(٣) سقطت في (ج) : منه.

(٤) سقطت من (ب) : الخشوع.

(٥) سقطت من (ط) : الخضوع.

وقد قدّمنا أن الله سبحانه وتعالى بفضله اختصر(١) أمور الدين في كلمتي الشهادتين، ليكون الدخول فيه أسهلَ شيء على المبتدئين، ثم شرح معناهما في بعض الآيات في الذكر المبين، كآية الكرسي وآخر [سورة] (٢) البقرة، ثم شرح تلك الآيات بالقرآن العظيم، ثم جعل السنة المحمدية شرحًا له وتبيانًا، ثم جُعل كلام العلماء شرحًا للسنة إلى ما لا نهاية له، فكلام العلماء وحكمة الحكماء راجع(٣) إلى ذلك ودائر عليه، كلّ منهم على قدر حاله ومبلغ مقاله، فهم ورثة الرسل في ذلك، والرسل فضّل الله: ﴿ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] وإن تأخر زمانه، فكذلك العلماء.

فإن الله يؤتي الحكمة من يشاء متى شاء كما شاء، وفضل الله على هذه الأمة كالغيث الماطر، فكم ترك الأول للآخر، فليس لقدم العهد يفضل(٤) القائل ولا لتأخره يهضم المصيب، بل كل له(٥) بفضل الله نصيب.

---

(١) في (ط) : اختص. (٢) زيادة من (ط). (٣) في (ط) : راجعان.

(٤) في (ط) : بفضل (٥) في (ط) : بل كله.

ولا يظن الطالب أنه يبلغ التحقيق في جميع العلوم وإن طلب العلم ألف سنة، فالأولى به أن يأخذ من كل فن أحسنه، وما دعت الحاجة إليه.

فإنه يحتاج إلى علم العقائد فيما هو حتم عليه(١)، من معرفة ما يجب لله ولرسوله ويجوز (٢) ويمتنع، فإن ذلك أول الواجبات وأصل كل العبادات، ويأخذ من إجماله إلى تفصيله، ومن أوله إلى تكميله، فإنه بذلك تحصل له معرفة الله تعالى بالمعنى العام، الذي عليه مدار الدين والإسلام، وهو أصل المعنى الخاص، الذي هو نور في القب(٣) يقذفه الله تعالى في قلب من شاء من الخواص.

وليحذر كل الحذر من الاقتحام إلى علم الكلام، فإنه قد يوقعه في اللبس والارتياب، وقد يفهم الشبه (٤) ولا يفهم الجواب، وتدخل عليه الوساوس والأوهام، وربما أخرجه عن دائرة الإسلام،

(١) في هامش: (أ) : الأولى أن يقول هكذا : أما علم العقائد فإنه يحتاج إليه فيما هو حتم الخ ... اهـ محمد الكاف. وفي (ج) أما علم العقائد فإنه يحتاج إلى علم العقائد في ما هو حتم عليه.

(٢) سقطت من (ب) : ويجوز.

(٣) في (أ) تعليقاً على (في القلب): الصواب حذفه كما هو ظاهر اهـ الكاف.

(٤) في (أ) و (ج) و (ط) : الشبه.

فلذلك(١) أفتى كثير من الأعلام أنه حرام، ومثله في ذلك علوم الأوائل من الكتابيين وغيرهم، وما للمتأخرين من الحقائق والدقائق، فإنّه وإن كان جميع ذلك يشتمل على علوم جمّة ومنافعَ مهمّة؛ لكن لا يقدر على استخراجها مع السلامة والميل من اعوجاجها؛ إلا الفذ(٢) النادر، الماهر في علم الباطن والظاهر(٣)، فلا بأس على من هو كذلك أن يسلك هذه المسالك.

وأما الفقه فإنه يحتاج إليه لمعرفة ما هو فرض عليه، من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الأحكام فهو مضطر إليه في قوام دينه ومفروضه ومسنونه، ولا بأس بالتوسع فيه والتوغل لمعرفة جميع الأعمال والأحوال والحلال والحرام، ولا يذم علمه بحال؛ إلا لما يقصد به من طلب الجاه والمال، ويعرض فيه من كثرة القيل والقال والمراء والجدال، والغفلة بالاشتغال في فروع نادرة عن ذكر الله والدار الآخرة، فقد تحصل بذلك قسوة القلوب، ويفوت ما هو أهم منه مما هو واجب أو مندوب، فمن سلك به هذه المسالك فهو بعين ما أراد به النجاة منه أول هالك.

(١) في (ط) و (ب) : فلذلك.

(٢) الفذ : الفرد وجمعه أفذاذ وفذوذ. القاموس صـــ ٤٢٩ .

(٤) في (ج) : الظاهر والباطن.

وأما من ذكره بالله وذكَرَ الله تعالى فيه؛ وأكثر من ذِكر الله تعالى في خلاله، وتحفظ من آفاته ومرائه وجداله؛ وقصَدَ به وَجْهَ الله تعالى ؛ فإنه من أفضل الطاعات، وأولَى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، فإنه من ذِكر الله فإن ذكر أحكام الله من ذكر الله(١)، وقد جاء ذكر البيع والنكاح والطلاق وغيرها من الأحكام في الآيات في كتاب الله، وتُقرأ جميعها (٢) في الصلاة فتكون [كلها](٣) صلاة (٤) لرجوعها إلى ذكر الله والحضور مع الله، فما موجب القرب إلا الحضور مع الله، وما علة البعد إلا الغفلة عن الله، وإن كان في أعظم أبواب الدين، فانظر إلى بر الوالدين، لعدم النية الصادقة، لغلبة العادة فيه على العبادة؛ وقلة الحضور مع الله فيه؛ قلّ أن يظهر (٥) أثره على القائم به، وتحصل له السعادة كما حصلت لأويس القرني سيد التابعين، وبالله التوفيق.

(١) سقط من (ب) قوله: فإن ذكر أحكام الله من ذكر الله.

(٢) في (أ) و(ج) و (ط) : كلها.

(٣) سقط من (أ) و(ج) و(ط) : كلها.

(٤) في (ب) : فتكون كله صلاة.

(٥) سقطت في (ج) : يظهر.

وأما التصوف(١) فإنه يحتاج إليه لمعرفة ما هو واجب من الإخلاص، وتخليص العمل من الشوائب والإعجاب والاختصاص، وتنزيه القلب من الخبائث الموبقة بالسير(٢) على طريق الخواص، فبه تصفية الأعمال وصفاء القلوب، واستعدادها لمنازلة المعرفة بالله تعالى ومطالعة الغيوب، فهو لعمري مجمع صفوة الدين، ومَطْلَع أعمال المتقين، ومنبع شراب المعرفة وحُمَيَّا اليقين، فمن لم يذق منه(٣) مذاقًا، ولم يكتسب منه أخلاقًا، فقد خسر وإن نال علم الأولين والآخرين، لكنه لخفائه قلّ أن يُوقَفَ عليه، ولعزَّته يندر أن يتوصل إليه، فكم ادّعاه من ليس من أهله، ولبَّس فيه على كثير بمجرد غروره وجهله، ولا يناله بالكسب إلا الفذّ النادر، على يد الشيخ الكامل الماهر، إلا أن مواهب الله لم تزل بأهله نازلة، ونفحات جوده على مَن صحبهم وجالسهم وأحبّهم أبدًا هاطلة، ومطالعة كتبهم ومذاكرة أحوالهم وفضلهم ترياق مجرّب لعلل القلوب؛ وصحة التوبة وغفران الذنوب، ومجالستهم وتكثير سوادهم والاهتداء بأنوارهم والإقتداء بآثارهم مع الصدق معهم والاعتراف بنقص الأوصاف وسوء الاقتراف مفتاح الفتح(٤) ومشاهدة الغيوب، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، ومن أحبّهم لحق بهم، ولا يحوّم من بينهم مَن هو معهم.

(١) في (ج) : التوصف. (٢) في (أ) و (ط) و (ج) : في السير.

(٣) في (ب) : فيه. (٤) في (ب) : ومفتاح.

فالموفّق من لازم الأعتاب، وانتظر الفضل من الوهاب، بقرع باب العمل الصالح والاقتراب، مع عدم الالتفات إلى عمله وعمله؛ فإن رؤية[١] ذلك تحتها أكبر حجاب، فلا تكمل له مع الله عبودية مابقي فيه لغيرالله[٢] نسبة،ولا[٣] تصفو[٤] له من التصوف شربة، حتى يخرج عن نفسه وعن كل اختصاص وصحبه،فإن ذلك باب لا يقرع إلا بالافتقار والاضطرار، ولا يفتح إلا بملازمة العلم المقرب إلا الله ومداومةالأذكار، ولايدخله إلاالبريء من النفس والدعوى والحول والقوة في جميع الآثار،فالفرار إلى الله تعالى الفرار، فما أقرب الطريق على الصادقين، ولابد[٥] مع صدق الجهاد من نصر الله، ومع بذل[٦] الإجتهاد من فتح الله ﴿وَالَّذِيْنَ جٰهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فالساقي باقي ولا ييأس من فضل الله ولا يقنط[٧] من رحمة الله[٨] إلا القوم[٩] الكافرون، فكم قربت المواهب الإلهية من عبد قاصي، وكم أنقذت يد العناية الربانية من زائغ وعاصي، فصبح فوق ذرى المكرمـــات والنواصي[١٠]،

(١) سقطت من (ط) : رؤية. (٢) في (ب) : لغير الله فيه.

(٣) سقطت من (ج) : ولا. (٤) في (أ) و (ط) و (ج) : يصفو.

(٥) في (أ) و (ط) : فلابد. (٦) في (ب) : وبذل.

(٧) في (ب) : ويقنط. (٨) في (ط) و (ب) : من رحمته.

(٩) سقطت من (ب). (١٠) في (ج) : النوصي.

فما ينكر نعمة الله على عباده وفضله ويعادي أولياءه وأهله إلا محروم، وذلك شأن من غلب عليه الحسد؛ بظلمه وهو في نفسه، ولم يزل دائمًا في كمد ونكد؛ حتى أهلك نفسه، بظلمه وهو في الحقيقة مظلوم، ولا يضر المحسود شيئا بل يزيده الله فضلاً ويتم نعمته عليه، سنة الله التي قد خلت من قبلُ مع الأنبياء والأولياء[(١)] والقوم.

وأما علوم القرآن والسنة فإنها أساس تلك العلوم وتأصيلها، ومبني تحقيقها وتفصيلها، فيحتاج إليها في معرفة ذلك المعلوم لمن هو من أهل تلك العلوم، ومعرفة فضل أهلها وتفاصيلهم في الأخذ بالمنطوق والمفهوم، والعمل بصحيح الإيمان وصريح القرآن، واتساع المعرفة[(٢)] بواضح المنقول وصالح البيان، وانشراح الصدور واقتباس النور بتلاوة كتاب الله وتفهم مبانيه، وقراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم معانيه، وذكر أصحابه وأتباعه وحملة دينه وأشياعه، فهم الصالحون وعند[(٣)] ذكرهم تنزل الرحمة والسكينة، وتحصل الجمعية المبينة[(٤)].

وأما الآلات فإن بها[(٥)] معرفة الكلام العربي وفصوله، المحتاج إليها

(١) سقطت من (ب) : الأولياء. (٢) في (أ) و (ط): واتساع أهل المعرفة.

(٣) سقط الواو في (ب). (٤) في (ط): المبنية. (٥) زيادة من (ب) و (ط).

إليها في فهم كلام الله وكلام رسوله، والسلامة والتحفظ من(١) تصحيفه، وتغييره وتحريفه، عن مواضع وقوعه ومواقع نزوله، وناهيك بتلك من وسيلة يبلغ الموفق بها سوله.

وبالجملة فالعلم وجميع فنونه الراجعة إلى الدين من الدين، ومن أفضل الطاعات لرب العالمين، ومن رُفهمُه وَقّاد، والعلم له منقاد، فليصْرف وقته كله فيه، سوى ما يضطر إليه أو يعول عليه، لأداء الفرائض الواجبات والمندوبات، والقيام بالحقوق اللازمة [والمؤكدات](٢)، كالحزب القرآني والأوراد النبوية المقيدة بالأسباب والأوقات، والنوافل كذلك من الصلوات وغير الصلوات، فإن ذلك من تمام الفرائض ومكملاتها، ومما حض الشارع عليها وخصها بأسباب وأوقات، وإن كان فضل العلم مشهورًا على العموم، فإن هذه أمور لها تخصيص معلوم.

ولا يُنال فضل العلم إلا بالإخلاص فيه، والصدق به مع الله، وذكره بالله وذكر الله فيه، وعدم الغفلة به عن الله، فقد قدّمنا أن ذكر أحكام الله من ذكر الله، وحذّرنا من الغفلة به عن الله، بالاشتغال بقيل وقال، وكثرة السؤال والمراء والجدال، فإن ذلك يصيّر إلى الغفلة، ثم إلى(٣) القسوة، ثم موت القلب وشتات البال، المؤدي إلى الضلال

(١) في (ط) : عن. (٢) ساقطة من (ب). (٣) سقطت من (ب) : إلى

والخَبال، ومن الإفراط في الطلب، المؤدي إلى التفريط في صالح الأعمال، من الفرائض المؤقتة والنوافل المؤكَّدة، وما ذُكِر معها بالتضييع والإهمال، فلأن ذلك يؤدي إلى[١] نقصان في الدين وعصيان لرب[٢] العالمين، وأيّ خير[٣] في عِلم يؤدي إلى نقصان ويُدخِل في حَيز العصيان، فإن مَن أخلّ بنوافله المؤكَدة دخل عليه النقص في فرائضه الواجبة، ومن لا وِرْد له من الواردات النبوية، وحزوب المشايخ الصوفية؛ فلا وارد له، ومن أعرض عن ذكر الله وحزوب القرآن؛ ونسي الله أنساه نفسه، وجعل قرينته الشيطان، وحُشر يوم القيامة أعمى، وعاش وهو حيران.

وحزب القرآن من الواجبات المؤكَّدات، فمن حق كل قارئ مراعاة حفظه، فإنه سريع الانفلات، ونسيان سورة بل آية منه من أعظم السيئات، وهو ديوان الدين، وأصل كل نور وهدى وعلم وبيان، فلا يغتر من سمع مما ورد في فضل العلم فاجتهد فيه، وأهمل هذه المهمات والأعمال[٤] التي قوام القلب وحفظ الإيمان.

وأما من في فهمه بلادة؛ فليصرف بقية زمنه إلى العبادة، أو غيرها مما فيه ثواب من نفع المسلمين،[٥] وخدمة أهل الدين، ولو

---

(١) سقط في (ب) : يؤدي إلى. (٢) في (ط) : رب. (٣) في (ط) : وأي خبر.

(٤) في (ط) : الأعمار. (٥) في (ب) : للمسلمين.

بالاكتساب، لما هو واجب أو مندوب من الأسباب.

فليغتنم العاقل جوهرة عمره العزيز، فإن ذرة منه رخيصة بألف درة، فمن لم يشغل ساعاته بالخير، ويصبّر نفسه ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف : ٢٨] وإلا أشغلته[(١)] نفسه[(٢)] بالشر، وذهب عمره في البطالة والتواني، حتى تهجم عليه المنية وهو في التسويف والأماني، وبالله التوفيق وهو المستعان.

---

(١) في هامش (أ): قوله وإلا أشغلته الصواب حذف وإلا كما هو ظاهر أهــ محمد الكاف.

(٢) سقطت في (ب) : نفس

الدائرة الثالثة

في طريق الإحسان، وهو السير من الظاهر إلى الباطن، ومن العلم والبرهان إلى الذوق والوجدان

فإن العبد إذا تمكن في الإسلام والإيمان، وأخذ طرفا صالحا من العلوم الشرعية الواردة في السنة والقرآن، فاتسع علمه، وانفتح فهمه، وانشرح صدره، عرف نفسه فعرف ربه [١]، وطلب رضاه وقربه، فإنه يشهد عجزه وذله، وشدة افتقاره وجهله، فإنه كفيره من الأكوان خُلِق من عدم، وراجعٌ إلى عدم، في غاية الاحتياج والاضطرار، ليس له استقلال بقدرةٍ ولا اختيار، ولا وجود ولا بقاء ولا فضلَ ولا جود إلا بواجب الوجود في جميع الشان، فإن وجوده ودوامه، وكلَّ كمال فيه وفعلٍ وانفعال، حتى قعوده وقيامه؛ من فضل الله [وإنعامه] [٢]، فيعرف نعمة الله عليه، وأن المنة لله سبحانه إذ وفقه لشكره وذكره في كل طاعاته وإحسانه [٣]، فلا يطلب [٤] جزاء فيها، ولا ينظر إليها، و [٥] يخاف من وجودها، مع قلة التقصير [٦] في

---

(١) ذكره الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة ٤٩٠ حديث رقم ١١٤٩ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري ١٨٩فتوى الإمام النووي ٢٧٩- ٢٨٠ تحقيق محمد الحجار.

(٢) سقطت في (ب) : وإنعامه. (٣) في (أ) و (ج) و (ط) : طاعة وإحسان.

(٤) في (أ) و (ط) و (ج) : يطالب. (٥) في (أ) و (ج) و (ط) : بل.

(٦) في هامش (أ): قوله التقصير لعله التشمير وهو الصواب اهـ محمد بن عمر الكاف أو =

شكرها، وما شكرها إلا بالاعتراف وشهود المنة فيها.

فإذا عرف ربه بذلك خافه ورجاه ولهج بذكره، ودام(٢) على اجتناب نهيه وامتثال أمره، وطلب قربه، وقلبت عليه الإنابة إليه ومزيد حبه، فتمكن في ذلك، واستقر له بالذوق(٣) والوجدان، حتى يعبد(٤) الله كأنه يراه، ويشهد معناه فيما عناه ورآه، ويعترف بمنة الله عليه في طاعته وذكره، ويبرأ إلى الله من التعويل على طاعة أو عصيان، ويذوق لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا يزال يترقى في منازل الصبر والشكر والإنابة، ويكرع من مناهل الرضى والتسليم والتوكل والمحبة، فيرد جميع أمره إلى الله، ويوليه جميع ما ولاه، من أمور آخرته وأولاه؛ فيتولاه، ولا يزال مسافرًا في الله(٥) فارًا إليه فيه به، مستهترًا بذكره ذاهبًا فيه حتى يفنى عن نفسه وعن ذكره ويستغرق في الله فلا يشعر بغيره، بل ربما نطق بلسان الحق، لاستغراقه فيه فقال: أنا الحق، وربما أنكر نفسه وتعيّنه في الخلق، وهو معذور لغلبة سلطان الحقيقة عليه، فهو يتردد بين صحوه(٦) وسكره، وجمعه وفرقه، ووجده وفيبته وحضوره، حتى يتحقق له الوجود، وتظهر عليه خلعة الجود، ويصح قربه، ويتضح حبه، فيكون

-أبدال لفظ القلة بالكثرة وهو ظاهر أيضًا، اهـ الكاف.

(٢) في (ط): ودوام. (٣) في (أ) و (ط): الذوق، وفي (ج): لذوق. (٤) في (ط): عبد. (٥) سقط في (أ) و (ج) : في الله. (٦) في (أ) و (ط) و (ج) : محوه.

الله سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن استعاذ به أعاذه وإن سأله أعطاه[(١)].

فعند ذلك تسقط عليه أنوار الحقيقة، ويذوق جنى معاني الوحي والنبوة، في معاني[(٢)] القرب والولاية والفتوة، فيشهد حقائق التنزيل على التفصيل، ويعرف معارف التفريع والتأصيل، ويفهم بالله عن الله كل مشكلة، ويتضح له بنور الله حل[(٣)] كل معضلة، وذلك ثمرة التقوى واليقين، وصحبة أهل الله المتقين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] أي من كل مشكل ومعضل ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ علماً وفهماً ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣] وقال أيضاً ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] الآيات، وبالله التوفيق.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٣١٩/٨، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء صـ ٢٧-٢٨ رقم ١، ورواه البخاري بلفظ قريب من هذا في كتاب الرقاق باب التواضع حديث رقم ٦٥٠٢، ١٢٣/٥ وابن حبان في صحيحه ورواه الحكيم الترمذي ٣٥/٤. ورواه أبو يعلى الحديث رقم ٧٠٥١، ١٤٦/٦.

(٢) في (ط): معاناة، وفي (أ) و (ج): معانات.

(٣) سقطت من (أ) و(ج) و (ج): حل.

الدائرة الرابعة

وهي مطالعة الحقائق، والوقوف على الحد والمَطْلع في جميع الرقائق والدقائق.

ذلك ثمرة الطريق، وزبدة التحقيق، فإن الموفق إذا تمسك بالواردات القرآنية، والسنة المحمدية، على الطريقة (١) الإحسانية، وساعدته العناية الربانية، حتى تمكَّن في الشهود، ورأى سَريان الجود بالحقيقة، في مسالك الوجود والخليقة، فرأى الحق حقه واستمعه، وعرف الصواب من الخطأ فاتبعه، فاتضحت بنور الحق طريقته، واعتدلت بميزان العدل خليقته، وصفت بصفوة اليقين حقيقته، فأشرقت له النورانية الشاملة، وظهرت به الإنسانية الكاملة، فسِرّه مع الله تعالى في قدس اللاهوت، وقلبه مع الملأ الأعلي في أعلى الملكوت، وجسده في عباد الله مع أهل الله في عالَم الناسوت، فهو يعبد الله بجميع عبادات المخلوقات، فهو في ذِكره مع الكروبيين (٢)، وفي تسبيحه وفِكره مع الملائكة المقرَّبين، وفي عمله وشكره مع عباد الله الصالحين، فقد ذكر بتسبيحات المخلوقات، واستقام قانتًا مع الكائنات (٣)، وركع وسجد في تقلباته مع الساجدات، فنفسه بالهدى مطمئنة باليقين، وشهوته الطبيعية والغضبية والسبعية منقادة للدين، وأسلم شيطانه فصار

(١) في (ط) و (ج): الطرق. (٢) في (ط): المكروبين. (٣) في (أ) و (ط) و (ج) [illegible]

له على الحق كالمُعين، فهو بعين عناية الله ملحوظ، وبزَين رعايته محفوظ، كلما زادت نعمة الله تعالى عليه، بتوفيقه لطاعته وذكره، ومعرفة جلالته[1] وعظمته، وعلوّ جبروته وقهره، عَرَفَ قصوره وتقصيره[2] في شكره، واعترف بعجزه وفقره، وتلاشيَ أمره، فهو يستغفر الله في يومه أكثر من مائة مرة، ويخاف الله أعظم من خوف العُصاة لما عرف الله تعالى وأمْــــره، فخوفه واستكانته لجلال الجبار، أعظمُ من خوفه من النَكال ومن عذاب النار، فإن النار من جملة خلقه وجنوده، المسخَّرين في وجوده، وهو أعلم بما عنــــده مما هو أعظمُ (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ) [المدثر: ٣١] (وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُوْنَ) [النحل : ٨][3] (لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُوْنَ) [الأنبياء: ٢٣] (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) [الأنعام : ١٤٩] (وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى) [الروم: ٢٧] (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيْمٌ) [يوسف: ٧٦].

فلايزال هذا العبْد الموَفَّق بين خوف الابتلاء والمحنة، ورجاء القرب والصلة الأنَ وفي الجنة، تارة يقْبضه الجلال، وتارة يبسطه الجمال، شاهَد الفقر[4] في جميع الخصال، مشاهدًا[5] للفضل والمنة علي

(١) في (أ) و (ج) و (ط) : جلاله. (٢) في (ج) : وتقصير.

(٣) في (ب) و (ط): ويخلقكم فيمالا تعلمون. (٤) في (أ) و (ج) و (ط): شاهدًا لفقره.

(٥) في (أ) و (ج) : شاهدًا.

كل حال، تلومه علوم القرأن والسنة فهو يترفَّل(١) في فنونها، ويتوّغل في بطونها، ويبتهج بأنوارها، وينتهج(٢) في أسرارها، ويكرع من شراب عيونها، ويغوص على جواهرها ومكنونها، لا يحجبه شهود الحقيقة، عن شواهد الشريعة ومشاهدة الخليقة، فالأعمال الصالحة عنده هدية الله إليه، ومنة منه عليه، منحها إياه ليقبل بها إليه، وفتحها له ليفتح بها عليه، فهي باب الله الذي لا مدخل إليه إلا منه، ولا مسلك إلا فيه وعنه(٣)، فهو عامل على القرب والتعريف، قائم بواجب الشريعة معتقدًا — وإن سقطت(٤) عنه الكلفة — بقاء التكليف، يخاف الوقوع في المعصية والبُعد، وإن صح له القرب والوصلة والتأليف، فهو عبد الله الجامع، ومُظهر سره اللامع، الداعي إليه فيه على بصيرة، والمدّ لخلقه به عنه في كل سيرة وسريرة، فإن أظهره مَظهر بفضله، ووصل نعمته ورحمته لمن خصه بوصله، على حسب ما قسم على يديه من السعادة، وقدّره له من التلقيح والولادة، (يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) [الشورى : ٤٩ — ٥٠].

---

(١) يترفل: أي يتبختر كبرًا في ثيابه أو في مشيه. المعجم الوسيط صـ ٣٦٢ .

(٢) في (ط) ينبهج، وفي (أ) و (ج) : يتبهج. (٣) سقطت من (ج) : وعنه.

(٤) في (أ) و (ج) و (ط) : أسقطت.

الخاتمة

لا خلاف بين الظاهر والباطن، ولا الأول والآخر، ولا الشريعة والطريقة والحقيقة، وبيان ذلك:

أن **الشريعة** أحكام الله التي كلف بها العباد، للطاعة له(١) والانقياد، عند إثبات الأسباب وإقامة الانتساب(٢)، ليخرجهم بحكم الشريعة، من ظلمة الهوى والطبيعة، باجتناب المنهي وامتثال المأمور، في جميع الأمور.

و**الطريقة** السير بتلك الشريعة إلى الله على ما يستطاع، بالخلوص(٣) بالإخلاص إلى الله فيها والانقطاع، والتبري من الركون إلى الأسباب، والكون على الانتساب، ليخرجوا من قيودها وحدودها، إلى مطلع الجود ومنبع الوجود، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

و**الحقيقة** تجلي الحق بنوره على عبده بالتحقيق بغاية التنزيه، وظهور الوحدانية بلا تعطيل ولا تشبيه.

ولنوضح المثال في نسبة الأعمال، فإن الله خلق العبد وقدرته وعمله بقدرة واحدة، فنسبة العمل إلى الله حقيقة، ونسبة(٤) إثباته للعبد

---

(١) سقطت من (ب): له. (٢) في (ط): الأنساب.

(٣) في (أ) و (ط) و (ج): والخلوص. (٤) سقطت من (ب): نسبة.

بإثبات الله شريعة، وعمل العبد بقدرته مع شهود الفعل من ربه بلا منافاة طريقة.

قال الله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ) طريقــة (إِذْ رَمَيْتَ) شريعة (وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [الأنفال: ١٧] حقيقة.

ويقول العبد أصلي ــ مثلاً ــ لله شريعة، وأصلي بالله طريقة، وصلى الله لي(١) ــ أي خلق لي الصلاة وجعلها نسبتي ــ حقيقة.

ومثال ذلك الإنسان، له جسد ظاهر وروح حيواني ونفس ناطقة، فنفسه الناطقة في الظاهر تنافي جسده الظاهر من كل وجه، لأنها نورانية لطيفة مجردة عن الشكل والكيفية، بضد الجسد في ذلك والروح الحيواني برزخ بينهما، فيه من كلٍ منهما، وصار الجميع إنسانًا واحدًا، فكذلك الشريعة والحقيقة مع الطريقة دينٌ واحد، ومعنى جامع، كنسبة الأعمال إلى الله وعبده في عمل واحد، لـ (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) [البقرة: ١٦٥] (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ) [هود: ١٢٣] (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد: ٣] (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [سبأ: ٤٧] وهو (بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) [فصلت: ٥٤] (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [المائدة: ١٢٠]

(١) سقطت من (ب): لي.

﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٣] دُنيا وأخرى، في كل جود ووجود، وشاهد ومشهود.

فسبحانَ [الله](١) الذي أظهر كل شيء بنوره، لأنه نور السموات والأرض، ولو لا نوره المحيط بكل شيء ما ظهر شيء، فهو أظهر من كل شيء، فلا يتوهم أنه مستور أو محجوب، لأن المحجوب مقهور وهو القاهر، وإنما حجب الخلق عنه(٢) رؤية أنفسهم، وظلمة أكوانهم المحيطة بهم، وهكذا الأمر الإلهي في قدرة الأعمال، وغيرها من الصفات والأحوال، كالسمع والبصر والكلام، والبقاء والفناء، والجمع والفرق والثبات والشَتات، والزمانَ والمكان في الذات والصفات.

وربما سُبق إلى فهم المنكِرين والجهال؛ نسبة القوم السالمين(٣) من اللوم والزيغ والضلال؛ إلى الميل إلى قول أهل الإلحاد؛ والحلول والإتحاد، فحاشا(٤) الله وحاشا أهل الدين والعلم واليقين والكمال، بل من أنصف وتقرر عنده ما ذكره أهل العقائد في الكلام، على مسألة الكلام، في قولهم القرآن كلام الله، محفوظ في القلوب، مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف غير حال(٥) فيها، عرف ذلك واعترف به، وكذلك ظهور عمل العبد بقدرته الحادثة التي لا تأثيرلها مع نسبة الحقيقة إلى الله، فالعضو(٦) مظهرة قدرة الله في خلق الأعمال، كالمصحف

---

(١) زيادة من (ج). (٢) في (ط) : عن. (٣) في (ب) : إلى المبن.

(٤) في (ط) : فما شاء. (٥) في (ط) : حامل. (٦) في (ط): فالعفر.

والحروف والآذان والقلوب مَظْهَر كلام الله فيها.

وهذه العلوم مَزَلَّة أقدام أهل الإقدام، فكل من لم يستقر له تمكنٌ في علم الأحكام؛ مع علوم الطريقة؛ ومناهج الحقيقة؛ بعلم وذوق واحتكام؛ فالأولى به التوقُّف فيها وعنها والإحجامُ، وما يدركها إلا مَن نوّر الله قلبه، وهذب لبه، وشرّح بنور اليقين⁽¹⁾ صدره، فصلح في الله أمره.

وما كان ينبغي ذكرها والخوضُ فيها على هذا البناء إلا لمجرد التشويق إليها والمدح لها، والثناء وأنها كنز الغِنى، وأولى من كل الأمور بكل اجتهاد و⁽²⁾ اعتناء، لكن الأولى بها الستر والحفظ الخاص، والاختصاص بالخواص، أهل الذوق والإخلاص.

وأمّا في العموم فالأولى التظاهر بعلوم الظاهر، خصوصا علم الكتاب والسنة والإتباع، وترتيب الفقه والتصوف عليه وتزيينه به وتشنيف الأسماع، فهو أبعد عن الابتداع في إتباع الرسول، وأقرب إلى الوصول إلى تقويم الفروع⁽³⁾ وتأسيس القواعد والأصول، فيكون علم الكتاب والسنة علمه ورسمه، والتفقه في الدين همه وفهمه، والتصوف طريقه ووسمه، والحقيقة كنزه وسره وكتمه.

---

(١) في (أ) و (ج) و (ط) : باليقين.

(٢) سقطت من (ب). (٣) إلى هنا انتهت النسخة (ج).

وليكن هذا آخر الأنموذج وختمه، والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم،

والحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) في النسخة (ب) : تم الكتاب بحمد الله بتاريخ يوم السبت ٢٧ من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٢٤٣ هـ ملك كاتبه لنفسه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن عيدروس بن علي الجفري.